الخصوصية الدينية للشرق الأوسط في النص القرآني

عادل خلاف محمد الساعدي
طالب دكتوراه، قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية، علوم القرآن والحديث، جامعة أزاد الإسلامية علوم تحقيقات، طهران، إيران
dr.adilalbhrane@gmail.com
الدكتور حسن عابديان (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة أزاد الإسلامية، قم، إيران
Mhabed@yahoo.com
المشرف المساعد الدكتور أحمد مرادخاني
أستاذ مشارك، قسم الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة أزاد الإسلامية، قم، إيران
ah.mor@iau.ac.ir

The religious specificity of the Middle East in the Quranic text

Adel Khallaf Muhammad Al-Saadi
PhD Student, Department of Islamic Theology and Knowledge, Qur'anic and Hadith Sciences, Islamic Azad University, Investigative Sciences, Tehran, Iran
Dr. Hasan Abedian (Responsible Writer)
Assistant Professor, Department of Islamic Theology and Knowledge, Islamic Azad University, Qom, Iran
Dr. Ahmad Maradkhani
Associate Professor, Department of Islamic Theology and Knowledge, Islamic Azad University, Qom, Iran

الملخص:-

إن مواضع العبادة التي أختارها الله سبحانه لعبادته ومحل تقرب الخلق له، وجعل لها من الحرمة والقدسية ما لم يجعل لغيرها، لم تكن إلا في هذه البقعة من العالم وما يعبر عنها في التاريخ الحديث (الشرق الأوسط) من العالم، حيث كانت فيها القبلتين و والوجهة التي يقصدها الناس في الحج والعمرة وما يتعلق بشعائرهما ومناسكهما من الصفا والمروة وعرفة...، أو الآيات التي اشارات إلى المواضع التي كلم الله بعض أنبياءه وناجوه بها، وبقية المواضع التي تتبين من خلال البحث، مثل قبور الأنبياء والأولياء و الصالحين فهنا يتم استعراض الآيات المباركة التي ورد فيها ذكر هذه المواضع وقدسيتها وخصوصيتها على غيرها.

وأيضا ما يراد بحثه هنا هو بيان خصوصية التعامل مع بعض الأماكن في منطقة الشرق الأوسط، من حيث اختيار الله لها وتميزها وتطهيرها وتقديسها ما لم يكن لغيرها، كل هذا يوجب على الناس أن تتعامل معها وفق محددات وضوابط فرضتها الشريعة، ولا يراد هنا بالشريعة فقط الشريعة الإسلامية بل كل الشرائع التوحيدية، من قبيل أن لا يكون الدخول لهذه الأماكن إلا بطهارة أو بثوب خاص كـ(الاحرام) مثلاً، أو حرمة الاعتداء على من ألتجئ أليها، أو كما يتعامل اليهود مع حائط المبكى (حائط البراق)، أو كما هو الحال من خصوصية كنيسة المهد عند المسيح، وبما أن البحث موضوعه النص القرآني فهو يركز على ما ورد من الخصوصية المفروضة على الناس بالتعامل مع هذه المناطق المقدسة في النص القرآني.

الكلمات المفتاحية: الخصوصية الدينية، الشرق الأوسط، النص القرآني.

Abstract:-

The places of Allah worshiping, Allah(God) chose for his worshippers, and made it the most sacred and respectful, they are only in this spot of the earth, or as it is expressed in modern history “the Middle East”.The two destinations (Qibla)for worshippers and the places to where people travel for pilgrimage and whose rituals included i.e. (Safa, Marwa, and Arafa)*.Some Qur'anic verses referred that Allah had talked to some of his apostles and messengers in these places and other places which revealed through this research: like prophets, disciples and righteous people graves. Here, the Qur'anic verses will be mentioned which show how these whereabouts are holy and have special importance.And what we aim here is to explain the special treatment (looking)with some places in the Middle East. The treatment includes the choice of Allah of these spots and how he made them distinguished, purified and holy. And why Allah gave these places that kind of importance.Because of this importance, people have to treat them according to the rules and instructions by Divine laws(sharia).The laws(sharia)had not meant to be just Islamic laws but all the laws emerged from the religions called for Allah unification.For example, to enter these places one must be purified or with ehram (special clothes for pilgrimage)and how it is not allowed to commit any hostile actions against people enter these places.Or as Jews treat with the wall temple (Al-Buraq wall)or the special respect Christians pay to the cradle church.

Since the subject of this research (study)is the Qur'anic text, it stresses the unique respect imposed on people to treat with these holy places in response to Qur'anic text.

Key words: religious characteristics, Middle East, Qur'anic text.

المقدمة:ـ

إن ما جاء في الذكر الحكيم من حديث حول بعض الأماكن، وبيان لشرفيتها وعظمتها كان موجبا ودافعا للوقوف على خصوصية هذه الأماكن، حيث أن ربنا سبحانه قد خصها بكلامه المجيد القرآن العظيم، و أفرد لها آيات كثيرها دون غيرها من الأماكن من العالم، وكانت هذه الخصوصية والمكانة للبقع المقدسة والمباركة في الشرق الأوسط، وهي كل من مكة المكرمة و المسجد النبوي والمسجد الأقصى، وكذلك المواضع التي تكلم وأوحى بها الله سبحانه لبعض أنبياءه عليهم السلام، لهذا سيتم استعراض هذه الآيات حول هذه الأماكن المقدسة، وما جاء بها من اشارات من وجوه الخصوصية لها من خلال مبحثين المبحث الأول الخصوصية التي فضل الله بها هذه المنطقة، والمبحث الثاني الخصوصية التي فرضها الله على الناس اتجاه هذه المنطقة.ثم يتم استعراض ما توصل له البحث من نتائج تبين الخصوصية الدينية لمنطقة الشرق الأوسط في النص القرآني.

المبحث الأول
الخصوصية التي فضل الله بها هذه المنطقة

المطلب الأول

الآيات التي اشارات إلى فضل مكة والمسجد الحرام

الآيتان الأولى والثانية / قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٦-٩٧.

- المعنى العام للآيتين

إن الآيتان الكريمتان لهما من الوضوح في ألفاظهما الصريحة ما يكفي من الاستدلال به على خصوصية وأهمية هذه البقعة من العالم، حيث يختارها الله سبحانه بأن تكون محل العبادة والتوحيد له، والاختيار من سبحانه ليس خيارا عاديا بل اشارة لفظة (أول بيت) وأيضا ليس لفئة معينة بل عبرت (وضع للناس) ما فيه من لفظ العموم، حيث يوجد فيه رد على من قال بأن بيت المقدس له بيت العبادة قبل الكعبة وما شابه، وهل البيت الحرام قد

بناه إبراهيم الخليل عليه السلام أو وجوده سابق عليه، وهذا أيضا ما يوجد له من الاستدلالات الكثير بأنه سابق لعهده عليه السلام، إن المصادر الإسلامية و التاريخية تحدثنا بأن الكعبة تأسست على يدي آدم عليه السلام ثمّ تهدمت بسبب الطوفان الذي وقع في عهد النبي نوح عليه السلام ثمّ جدد بناءها النبي العظيم إبراهيم الخليل عليه السلام فهي إذن عريقة عراقة التاريخ البشري ، وجاء في هذا المضمون روايات عدة منها عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: ((لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ أَمَرَ الرِّيَاحَ فَضَرَبْنَ وَجْهَ الْمَاءِ حَتَّى صَارَ مَوْجاً، ثُمَّ ازْبَدَّ فَصَارَ زَبَداً وَاحِداً، فَجَمَعَهُ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ، ثُمَّ جَعَلَهُ جَبَلًا مِنْ زَبَدٍ ثُمَّ دَحَى الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكا))[1]، وفي رواية عن قتادة، قال: (وضع الله تعالى البيت مع آدم، فكان راسه في السماء و رجلاه في الارض، فكانت الملائكة تهابه، فنقص الى ستين ذراعا، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة و تسبيحهم، فشكا ذلك الى الله، فقال الله: يا آدم، أني اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي، و تصلي عنده كما يصلي عند عرشي فانطلق اليه آدم ع، فخرج و مد له في خطوه، فكان بين كل خطوه مفازة، فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك، فأتى آدم ع البيت، فطاف به و من بعده من الأنبياء)[2]، وجاء في تاريخ اليعقوبي كيف أمر الله سبحانه آدم أن يصير إلى مكة ويبني فيها بيتا ويضع فيه الحجر الأسود الذي أنزله له من الجنة ليأنس به، و بنى البيت، و طاف به، ثم أمره الله أن يضحي له، فيدعوه و يقدسه، فخرج معه جبريل حتى وقف بعرفات، فقال له جبريل: هذا الموضع أمرك ربك أن تقف له به، ثم مضى به إلى مكة، فاعترض له إبليس، فقال: ارمه! فرماه بالحصى[3]، و لا شكّ أن اختيار أعرق بيت أسس للتوحيد من أجل أن يكون قبلة للمسلمين، أولى وأفضل من اختيار أية نقطة أخرى و أي مكان آخر، كما تتضح ضمنا ما نستفيده من هذه الآية قيمة الأسبقية في مجال العلاقات بين الخلق والخالق، ولذلك نجد القرآن يشير في هذه الآية إلى أسبقية الكعبة على جميع الأماكن الأخرى، وإلى تاريخها الطويل الضارب في أعماق الزمن، معتبراً ذلك أول وأهم ما تتسم به الكعبة من الفضائل والمزايا[4]، ومما يؤيد أن الكعبة كانت موجودة في زمان آدم عليه السلام، و هذا هو الأصوب و يدل عليه وجوه:

الأول: عبارة (البيت العتيق) الواردة في الآيتين ٢٩، ٣٣ من سورة الحج[5] تشير إلى أن الكعبة المشرفة لهي من أقدم الأماكن العبادية في الأرض لذلك عبر عنها سبحانه بالعتيق أي القديم[6].

الثاني: أن تكليف الصلاة كان لازماً في دين جميع الأنبياء عليهم السلام كانوا يسجدون للّه والسجدة لابد لها من قبلة، فلو كانت قبلة شيث وإدريس ونوح عليهم السلام موضعاً آخر سوى القبلة لبطل قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ فوجب أن يقال: إن قبلة أولئك الأنبياء المتقدمين هي الكعبة، فدل هذا على أن هذه الجهة كانت أبداً مشرفة مكرمة.

الثالث: أن اللّه تعالى سمى مكة أم القرى، و ظاهر هذا يقتضي أنها كانت سابقة على سائر البقاع في الفضل و الشرف منذ كانت موجودة.

الرابع: روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبته يوم فتح مكة «ألا إن اللّه قد حرم مكة يوم خلق السموات و الأرض و الشمس و القمر»[٧]، و تحريم مكة لا يمكن إلا بعد وجود مكة.

الخامس: أن الآثار التي ورد ذكرها عن الصحابة و التابعين دالة على أنها كانت موجودة قبل زمان إبراهيم عليه السلام[٨]، حيث بينتا شرفية مكة المكرمة من قبله ووجود سابق لكل أماكن العبادة والتوحيد.

- وجه الخصوصية في هاتين الآيتين

هاتان الآيتان وغيرهما كثير ما تشير وتؤكد على خصوصية بعض الأماكن والبقاع من العالم، وتميزها عن سائر البقاع الأخرى، إذن أن تكون الكعبّة قبلة للمسلمين، فهي أول مركز للتوحيد، و أقدم معبد بني على الأرض ليعبد فيه اللّه سبحانه و يوحد، بل لم يسبقه أي معبد آخر قبله، إنه أول بيت وضع للناس و لأجل خير المجتمع الإنساني في نقطة من الأرض محفوفة بالبركات، غنية بالخيرات، وضع ليكون محل تجمع الناس و ملتقاهم، كيف لا وهي قد شيدت في بقعه طاهرة بمحاذات عرش الله سبحانه وتعالى، حيث تطوف الملائكة وتسبح الله وتستغفره [٩]، وكل ألفاظ الآيتين تشير إلى قدم شرفية الكعبة كمحل للعبادة كما تدل عليه لفظة (أول) وكذلك اللامات في كل من (للناس، للذي، للعالمين) للجر والتوكيد والتخصيص[١٠]، و أيضا باء الجر في كلمة (ببكة) بأنه هو البيت الأول وهو الذي فيه هدى للعالمين، وهذا التخصيص والتوكيد لا تحظى به بقعةٌ أخرى من العالم، وأيضا لشرفيتها يقسم بها كما جاء في سورة البلد قوله سبحانه: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ البلد: ١، والبلد يراد به

مكة وأن لم يصرح بها في الآية وهذا ما أجمع عليه المفسرون[١١] ولولا شرفيتها وخصوصيتها لما أقسم بها الله.

من هنا يسير البحث في أثبات الخصوصية الدينية للكعبة المشرفة وبعض البقاع الأخرى الموجودة في منطقة الشرق الأوسط.

الآية الثالثة / قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الحج: ٢٦.

- المعنى العام للآية

تشير الآية إلى مسألة التذكير ببناء الكعبة على يد نبي الله الخليل عليه السلام أي تذكّر كيف أعددنا لإبراهيم مكان الكعبة ليقوم ببنائها، و كلمة «بوّأ» مشتقة من بواء، أي الأرض المسطّحة، ثمّ أطلقت على إعداد المكان مطلقا (أي تهيئته) و تقصد هذه الآية حسبما يراه المفسّرون أنّ اللّه هدى إبراهيم عليه السلام إلى مكان الكعبة بعد أن هدمت بطوفان نوح عليه السلام و خفيت معالمها إذ حدثت عاصفة فأزالت التراب و كشفت عن أسس البيت، أو بعث اللّه تعالى سحابة ظلّلت مكان البيت، أو بأيّ أسلوب آخر كشف اللّه لإبراهيم عليه السلام أسّس الكعبة، فقام هو و ابنه إسماعيل عليهما السلام بتجديد بناء بيت اللّه الحرام، و تضيف الآية الكريمة أنّه عند ما تمّ بناء البيت خوطب إبراهيم عليه السلام ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ آية البحث، أي كلف إبراهيم عليه السلام في مهمّة أخرى علاوة على إعادة بناء البيت وهي تطهير البيت وما حوله من أي نجس ظاهر أو باطن، ومن أي صنم أو مظهر للشرك، من أجل أن يوجّه عباد الرحمن قلوبهم و أبصارهم إليه تعالى وحده في هذا المكان الطاهر، وليقوموا بأهمّ العبادات في هذه البقعة المباركة، ألا وهو الطواف والصلاة في محيط إيمانيّ لا يخالطه شرك[١٢].

- وجه الخصوصية في الآية:

لم يكن المسجد الحرام مسجدا عاديا في طبيعته و خصوصيته، و لم يأت بناؤه تلبية لرغبة ذاتية في بناء مسجد للعبادة كما هو حال المؤمنين عادةً في بناء المساجد تطوعا ورغبة في الأجر الإلهي، بل جاء نتيجة أمر من اللّه سبحانه، فقد أوحى الله لنبيّه إبراهيم عليه السلام أن يبني هذا المسجد في البقعة التي اختارها بنفسه ووفق علمه جل جلاله بما تحويه من اسرار ليكون بيتا له

تعالى على مستوى العالم كله، ليفد إليه الناس من كل بقاع الأرض تلبية لدعوته الشاملة، من أجل تحقيق المنافع الدنيوية والأخروية المادية والمعنوية، ولينطلق الناس من خلاله، ومن خلال الأعمال المتنوعة التي شرعها لهم في رحابه وأجوائه سبحانه وتعالى، ليخلصوا له العبادة من موقع التوحيد، ولينفتحوا على عمق التوحيد في صفائه ونقائه، في ما تعيشه أفكارهم، وتختزنه مشاعرهم، وتتحرك فيه أوضاعهم، في أقوالهم وأفعالهم وعلاقاتهم ومواقفهم، من خطّ يبدأ من اللّه و ينتهي إليه سبحانه، فلا يمرّ الناس إلا من خلاله، ولا يلتقي بخصوصيات الحياة إلا في دائرة رضاه[١٣]، هكذا هي الإرادة الإلهية بأن يجعل هذه الموضع العبادي الذي تفد إليه الناس الناس من كل مكان في العالم كما تعبر الآية الكريمة ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٧، عليهم أن يفدوا على البيت، فلم يوجب ربنا سبحانه الآتيان لموضع في الأرض كما أوجبه للبيت الحرام، وأن كان آتيان بعض الأماكن العبادية مستحبٌ ويوجب الأجر والثواب، إلا أن أفضل محل يؤتى إليه هو البيت الحرام.

الآية الرابعة/ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٥٨.

- المعنى العام للآية

الآية الكريمة تتحدث عن بعض المواضع التي تكون ضمن مواضع الحج ويعبر عنها سبحانه وتعالى على أنها من شعائر الله ولا يتم الحج بدون الطواف والسعي بهما، ومعنى الصفا: في الأصل الحجر الأملس مأخوذ من الصفو إذا خلص وهو الصافي الذي لا يكدّره شيء يشوبه، والمروة في الأصل: هي الحجارة الصلبة اللينة، والصفا والمروة اسمان لجبلين صغيرين في مكة، يقعان اليوم بعد توسيع المسجد الحرام، في الضلع الشرقي للمسجد، في الجهة التي يقع فيها الحجر الأسود ومقام إبراهيم يفصل بين الجبلين ٤٢٠ مترا تقريبا، وهما من الشعائر، كما قال اللّه تعالى، و يراد بالشعائر: المعالم للأعمال، فشعائر اللّه: معالم اللّه التي جعلها مواطن للعبادة، و هي أعلام متعبداته من موقف، أو مسعى، أو منحر، وهو مأخوذ من شعرت به: أي علمت، و كل معلم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلك العبادة، و واحد الشعائر شعيرة، فشعائر اللّه أعلام متعبداته، والحج: قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام، والطواف، والوقوف بعرفة والسعي بين الصفا و المروة.

واشتقاقه من الحج الذي هو القصد على وجه التكرار والتردد، و أما العمرة في الأصل فهي الزيارة وهي هاهنا زيارة البيت بالعمل المشروع من طواف الزيارة و الأحرام، وأخذت العمرة من العمارة لان الزائر للمكان يعمره بزيارته له، و قوله: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ فالجناح هو الميل عن الحق، و أصله من جنح إليه جنوحاً إذا مال اليه. قال صاحب العين: الاجناح: الميل. اجنحت هذا فاجتنح أي أملته فمال. و قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أي مالوا إليك لصلح فمل إليهم، و الطواف: الدور حول البيت وعبر عن السعي بين الصفاء والمروة بالطواف لأنه عبارة عن ذهابٍ وإيابٍ بينهما كالذي يدور في نفس المكان، ويراد بالتطوع هنا الطاعة لا الاختيار و يتضح ذلك من خلال الفرق بين الطاعة و التطوع: ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة و النافلة. و التطوع التبرز بالنافلة خاصة. و أصلها الطوع الذي هو الانقياد، و إنما قال ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وهو طاعة، من حيث أنه جواب لمن توهم أن فيه جناحاً، لصنمين كانا عليه: أحدهما إساف، والآخر نائلة، في قول الشعبي، وكثير من أهل العلم. وروى ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام وكان ذلك في عمرة القضاء ولم يكن فتح مكة بعد، وكانت الأصنام على حالها حول الكعبة و قال قوم: سبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما، فكره المسلمون ذلك خوفاً أن يكون من أفعال الجاهلية، فانزل اللّه تعالى الآية[١٤].

- **وجه الخصوصية في الآية**

ما تقدم من معنى عام للآية يدلل على اسرار كامنة في موضع ومكان هذه الشعيرة المتمثلة بالطواف بين الصفا والمروة فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يشير إلى كون المكانين معلمين بعلامة الله سبحانه، يدلان بذلك عليه، ويذكرانه تعالى واختصاصهما بكونهما من الشعائر دون بقية الأشياء جميعا يدل على أن المراد بالشعائر ليست الشعائر التكوينية بل هما شعيرتان بجعله تعالى إياهما معبدين يعبد فيهما، فهما يذكران الله سبحانه، فكونهما شعيرتين يدل على أنه تعالى قد شرع فيهما عبادة متعلقة بهما[١٥]، وإذا عدنا إلى تاريخ السبب في تشريفهما فالحادثة معروفة ضمن سيرة نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما بلغه الكبر و لم يرزق ولدا، فدعى ربّه أن لا يتركه فردا، فاستجاب له، ورزقه من جاريته هاجر ولدا سمّاه «إسماعيل» لم تستطع (سارة) زوجته الاولى أن تطيق الحالة الجديدة، وقد

رزق إبراهيم ولدا من غيرها، فأمر اللّه إبراهيم أن يهاجر بالطفل والأم إلى مكة حيث الأرض القاحلة المجدبة آنذاك، و يسكنهما هناك، ويلاحظ هنا كيف أن الله أختار مكة دون غيرها وأمر نبيه بالخروج إليها وهي حينذاك غير صالحة للسكنى والعيش، فأي حكمة إلاهية في ذلك وأي خصوصية لهذه البقعة لتكون محل سكن أسرة إبراهيم الخليل عليه السلام، وبسبب وجود هذه الأسرة العظيمة المضحية تكون هذه البقعة والصفا والمروة من شعار الله، وفي تتمة القصة امتثل إبراهيم عليه السلام أمر ربه، و ذهب بهما إلى صحراء مكة و أسكنهما في تلك الأرض، و همّ بالرجوع، فضجّت زوجته بالبكاء، إذ كيف تستطيع أن تعيش امرأة وحيدة مع طفل رضيع في مثل هذه الأرض؟! بكاء هاجر و معه بكاء الطفل الرضيع هزّ إبراهيم من الأعماق، لكنه لم يزد على أن ناجى ربّه قائلا ما يخبر به القرآن: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧، ثم ودّع زوجه و طفله بحزن و ألم عميقين، لم يمض وقت طويل حتى نفذ طعام الأمّ وماؤها، وجفّ لبنها. بكاء الطفل أضرم في نفس الأم نارا، ودفعها لأن تبحث بقلق واضطراب عن الماء. اتجهت أولا إلى جبل «الصفا» فلم تجد للماء أثرا، لفت نظرها بريق ماء عند جبل «المروة» فأسرعت إليه فوجدته سرابا، ثم رأت عند المروة بريقا لدى الصفا أسرعت إليه فما وجدت شيئا، وهكذا جالت سبع مرات بين الصفا والمروة بحثا عن الماء. وفي النهاية، وبعد أن أشرف الطفل على الموت، انفجرت عند رجله فجأة عين زمزم، فشرب الطفل و أمه و نجيا من الموت المحقق. الماء، رمز الحياة، و انفجار العين جرّ الطيور من الآفاق نحو هذه الأرض، والقوافل شاهدت حركة الطيور، فاتجهت هي أيضا نحو الماء و ببركة هذه العائلة تحولت أرض مكة إلى مركز حضاري عظيم [١٦].

المطلب الثاني

الآيات أشارت إلى شرف وفضل بعض الأماكن الأخرى

وفيه عدة آيات (الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة) في مجموع هذه الآيات يتم الحديث عن محل ومكان تكليم موسى عليه السلام وتكليفه بالرسالة وتطابقت الألفاظ حينا واختلفت أخرى في وصف هذا المكان فمنها وصفته بـ(الواد المقدس، الواد الأيمن) وأخرى بـ(البقعة المباركة) والآيات هي / قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ مريم: ٥٢،

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه: ١٢، ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل: ٨، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ القصص: ٣٠، ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ النازعات: ١٦.

- **المعنى العام للآيات**

جميع الآيات في هذا المطلب تتحدث عن رحلة العودة لنبي الله موسى الكليم عليه السلام بعد أن أتم موسى المدة التي اتفق عليها مع أبي زوجته نبي الله شعيب عليه السلام جمع أشتات متاعه، و سافر قاصدا مصر مع أهله، كما في قاموس الكتاب المقدس: ذهب موسى إلى مصر مع زوجته و ابنيه. ولما وصل إلى الصحراء وهم بالقرب من وادي طوى في طور سيناء ضل الطريق في ليلة شاتية مظلمة كما يصرح بهذا قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ النمل: ٩ ، أي أنهم كانوا بحاجة إلى النار للاستدلال أو للدفئ وهذا ما عليه أكثر المفسرين، المكث اللبث، و الإيناس إبصار الشيء أو وجدانه و هو من الأنس خلاف النفور و لذا قيل: إنه إبصار شيء يؤنس به فيكون إبصارا قويا، و القبس بفتحتين هو الشعلة المقتبسة على رأس عود و نحوه، ومن المفسرين من ذهب إلى أن موسى فقط هو من رأى النار بدلالة «إِذْ رَأَى ناراً»، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ طه: ١١، دنا موسى عليه السلام مما ظنه نارا، فإذا هو نور عظيم أبهى من نور الشمس، وإذا بصوت رهيب يقول: ﴿أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ تأدبا وتواضعا ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ في المكان المطهر المبارك، حيث تجلى فيه النور الإلهي، وارتفع في سمائه صوت الجلال والكمال رأى موسى نورا، سمع صوتا، ولا شيء سواهما، طوى اسم لواد بطور وهو الذي سماه الله سبحانه بالواد المقدس، وهذه التسمية والتوصيف هي الدليل على أن أمره بخلع النعلين إنما هو لاحترام الوادي أن لا يداس بالنعل ثم تفريع خلع النعلين مع ذلك على قوله: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ يدل على أن تقديس الوادي إنما هو لكونه حظيرة لقرب وموطن الحضور والمناجاة فيئول معنى الآية إلى مثل قولنا نودي يا موسى ها أنا ذا ربك وأنت بمحضر مني و قد تقدس الوادي بذلك فالتزم شرط الأدب واخلع نعليك[١٧]، وفي بيان مانعي الآيات الأخرى يراد بالجانب الأيمن أي الجانب المحاذي ليمين موسى عليه السلام، البقعة القطعة من الأرض، و وصفة

بأنها مباركة لكثرة أنبيائها و كثرة خيراتها، الشاطئ معناه الساحل و «الوادي» معناه الطريق بين الجبلين، أو ممر السيول و «الأيمن» مشتق من «اليمين» خلاف اليسار، وهو صفة للوادي و قوله: (من الشجرة) يشعر بأن اللّه سبحانه خلق الكلام في الشجرة، ويحتمل أن يقال إن ظهور الكلام من الشجرة كظهور التسبيح من الحصى في أنه يعلم (أي موسى) أن مثل ذلك لا يكون إلا من اللّه تعالى، ويحتمل أن يكون المعجز هو أنه رأى النار في الشجرة الرطبة فعلم أنه لا يقدر على الجمع بين النار و بين خضرة الشجرة إلا اللّه تعالى، ويحتمل أن يصح ما يروى أن إبليس لما قال له كيف عرفت أنه نداء اللّه تعالى؟ قال لأني سمعته بجميع أجزائي، فلما وجد حس السمع من جميع الأجزاء علم أن ذلك مما لا يقدر عليه أحد سوى اللّه تعالى، ولا شك أن اللّه سبحانه قادر على أن يجعل الأمواج الصوتية في كل شيء، فأوجد في الوادي شجرة ليكلّم موسى.. وموسى بشر له جسم وأذنان ولا بدّ له ليسمع الكلام من أمواج صوتية.. وطبيعي أن كثيرا من الأنبياء كان الوحي بالنسبة لهم إلهاما داخليا، وأحيانا يرون ما يوحى إليهم في «النوم» كما كان الوحي يأتيهم. أحيانا عن طريق سماع الأمواج الصوتية، و على كل حال فلا مجال للتوهم بأنّ اللّه جسم تعالى اللّه عن ذلك، و في بعض الرّوايات ورد أن موسى عليه السلام حين اقترب من النّار، دقق النظر فلاحظ أن النّار تخرج من غصن أخضر و تضيء و تزداد لحظة بعد لحظة و تبدو أجمل، فانحنى موسى عليه السلام و في يده غصن يابس ليوقده من النّار، فجاءت النّار من ذلك الغصن الأخضر إليه فاستوحش ورجع إلى الوراء.. ثمّ رجع إليها ليأخذ منها قبسا فأتته ثانية.. وهكذا مرّة يتجه بنفسه إليها و مرّة تتجه النّار إليه، و إذا النداء و البشارة بالوحي إليه من قبل اللّه سبحانه و من هنا و مع ملاحظة قرائن لا تقبل الإنكار اتّضح لموسى عليه السلام أنّ هذا النداء هو نداء إلهي لا غير.

وفي قوله تعالى: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَقال هاهنا نُودِيَ. . . إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال في سورة طه الآيات ١١- ١٢: ﴿نُودِيَ. . . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ ولا منافاة بين هذه الأشياء فهو سبحانه وتعالى ذكر الكل إلا أنه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء[١٨].

- وجه الخصوصية في الآيات

إن ذكر النبي موسى عليه السلام قد تعدد في القرآن الكريم وكان له الحض الأوفى، وقد شاءت الإرادة الإلهي أن تكون المنطقة ما بين مصر والشام محل نشأته و بعثته وحركته عليه السلام

التي هي من مناطق الشرق الأوسط، والحديث بخصوص المكان الذي جاءه منه النداء الإلهي والتكليف الرسالي لا سائر أماكن تواجده عليه السلام، ومعلوم أن قدرة الله وأرادته هي المتحكمة في سائر الأمور فلو شاء الله جل وعلا أن يأخذ نبيه موسى عليه السلام إلى مكانٍ أخر لفعل وفي الآيات اشارة على أن موسى عليه السلام قد ضل الطريق وإرتابه الخوف واشتدت عليه ظلمة الليل وكان في وضع مربك، للحالة التي كان بها هو وعياله من أن أمرأته قد حضرتها الولادة وسائر الظروف الأخرى، فأن الله سبحانه لو أراد أن يحدثه ويعطيه المعجزات لأراه النار في أي بقعة شاء غير (طور سيناء) إلا أن مشيئته سبحانه كانت باختيار هذا الموضع من الأرض، وقد وصف بالواد المقدس والبقعة المباركة وأقسم بهذا المكان كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ*وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ ولولا شرفية المكان لما أقسم به سبحانه، وعلى هذا الغرار يعبر العلامة الطباطبائي رحمه الله على قدسية وشرفية بعض الأماكن: (على هذا النحو يقدس ما يقدس من الأمكنة و الأزمنة كالكعبة المشرفة و المسجد الحرام و سائر المساجد و المشاهد المحترمة في الإسلام و الأعياد و الأيام المتبركة فإنما ذلك قدس و شرف اكتسبته بالانتساب إلى واقعة شريفة وقعت فيها أو نسك و عبادة مقدسة شرعت فيها و إلا فلا تفاضل بين أجزاء المكان و لا بين أجزاء الزمان)[١٩]، فأن قدسية الأماكن وشرفيتها هي التي جعلت لها خصوصيةٍ على غيرها.

المبحث الثاني

الخصوصية التي فرضها الله على الناس اتجاه هذه المنطقة

الذي يراد بحثه هنا هو بيان خصوصية التعامل مع بعض الأماكن في منطقة الشرق الأوسط، من حيث اختيار الله لها وتميزها وتطهيرها وتقديسها ما لم يكن لغيرها في النص القرآني، وإلا يوجد في نصوص الكتاب المقدس وسائر كتب الديانات غير التوحيدية والمصادر التاريخية ما يشير إلى خصوصية بعض الأماكن وشرفها عن غيرها، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الآيات التي سوف تبحث هنا قد تم بحثها في المبحث السابق (ما فرضه الله لبعض هذه الأماكن من خصوصية) ولكن بلحَظات أخرى، كون النص القرآني يحمل عدة دلالات ويكتنف كثير من الإشارات التي لا تظهر إلا بالتتبع والتمحيص.

المطلب الأول

ما فرض على الناس باتخاذ بعض هذه الأماكن للعبادة

الآية الأولى / قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥.

- **المعنى العام للآية**

تتحدث الآية الكريمة على أن الله جل وعلا قد جعل بيته محل الإثابة أي إعطاء الثواب للناس ومحل الأمن لهم، وأن كان هذا الجزء داخل في خصوصية ما فرضه الله سبحانه لهذه الأماكن، إلا أن البيان من باب تناول ما جاء في الآية وفي ما يتعلق بالخصوصية في هذا المطلب نرى أن ربنا سبحانه أمرنا وفرض علينا أن نتخذ من مقام إبراهيم عليه السلام مصلى، ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ واتخذوا بكسر الخاء، وهو أمر بالصلاة في مقام ابراهيم، لأن معنى مصلى مكان الصلاة و قد أجمع الفقهاء على أنه يستحب الإتيان بركعتي الطواف فيه مع الإمكان، و المفهوم من مقام ابراهيم عليه السلام المقام المعروف الموجود الآن في المسجد، أما قول من قال: ان المراد به المسجد بكامله فيحتاج الى دليل، وأن في قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا﴾ مفسرة لعهدنا، فهي بمعنى أي، ولا محل لها من الاعراب، والمعنى وصينا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأن يحترما البيت، و يبعدا عنه كل ما لا يليق به من الأصنام والنجاسات والأوساخ واللغو والرفث و الفسوق و الجدال، و نحو هذه، و أن يأمرا الناس بذلك، و (لِلطَّائِفِينَ) الذين يدورون حول البيت، و (الْعَاكِفِينَ) أو المعتكفين من أقاموا في المسجد ولازموه، أو جاوروه للعبادة، و (الرُّكَّعِ السُّجُودِ) هم المصلون، جمع راكع و ساجد[٢٠]، وأن تكون الكعبة المشرفة الحرم الذي أرادها اللّه مرجعا للناس يرجعون إليه و يثوبون، كقاعدة روحية يعيشون فيها الشعور بالوحدة الروحية التي تربط بعضهم ببعض بين يدي اللّه، و يطوفون به في إحساس عميق بعبوديتهم للّه، و في استيحاء الفكرة الإيمانية المتحركة حيث يستلهمون منه أن يكون طوافهم في الحياة حول كلمات اللّه و تعاليمه و مفاهيمه، و يشعرون في ظلاله بالأمن الذي أراده اللّه طابعا مميزا لهذا البيت في ما أوحى به إلى الأنبياء عليهم السلام في شرائعهم، من حرمة الاعتداء على الناس و الإساءة إليهم حتى في الحالات المشروعة في ذاتها، فقد ورد في بعض الأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، أن الحد لا يقام على الجاني في مكة إلا إذا كانت جنايته في مكة بالذات

و كأن اللّه أراد أن يجعل من هذا البيت قاعدة سلام يجتمع إليها الناس من دون إحساس بالخوف و بالمشاعر المضادّة التي تمنعهم من اللقاء[٢١]. ذكر صاحب الجواهر الشيخ محمد حسن النجفي: لا يقام الحد إطلاقا في الحرم على من التجأ إليه، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ بل يضيّق عليه في المطعم والمشرب، ويقتصر على ما يسد الرمق، ليخرج ويقام عليه الحد، فقد جاءت الرواية الصحيحة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في رجل يجني في غير الحرم ثم يلجأ إلى الحرم، قال: «لا يقام عليه الحدّ... وإن جنى في الحرم جناية أقيم عليه الحد في الحرم، لأنه لم ير للحرم حرمة»، وقال أبو حنيفة: لا يجوز قتل من التجأ إلى الحرم، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾[٢٢]، والاستدلال للمفسرين والفقهاء كله جاء مطابق لما يوحي إليه ظاهر الآية المباركة، والرواية كذلك صريحة المعنى وهي صحيح بحسب جميع المحدثين، ومفاد كل ما تقدم واضح في الخصوصية التي فرضة على الناس في هذه الأماكن.

- **وجه الخصوصية في الآية**

نرى في الآية أن الله سبحانه وتعالى قد فرض للكعبة المشرفة عدة فروض على الناس اتجاهها، منها أن يكون ما هو داخل ضمن حرمها (مقام إبراهيم) محل للصلاة وله خصوصية بذلك، ومنها التطهير ليكون مناسباً للطقوس العبادية الطواف والاعتكاف والركوع والسجود، والأمر بها جاء بدلالة مفردة (عهدنا) أي الأمر وأن كان الخطاب موجه بالأصل لإبراهيم عليه السلام إلا أنه خطابٌ عام كسائر الخطاب العام في القرآن الكريم، وإعطاء الأمان لمن ألتجئ إلى البيت ويكون بمأمن ما لم تكن جنايته في البيت الحرام وبهذا تصرح الآية الكريمة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ العنكبوت: ٦٧، أي فقط الحرم أمن وما جاوره من الأماكن ليس له هذه الخصوصية.

الآيات (الثانية، الثالثة، الرابعة) / قوله تعالى: ﴿... فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ..﴾ البقرة: ١٤٤، ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٤٩ - ١٥٠.

- المعنى العام للآيات

إن الآيات إجمالا تتحدث عن تشريع تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وفي بيان معاني بعضها الأخر حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ ومراده جل ثناؤه ومن أي موضع خرجت إلى أي موضع وجهت فول يا محمد وجهك يقول: حول وجهك. و قد دللنا على أن التولية في هذا الموضع شطر المسجد الحرام، إنما هي الإقبال بالوجه نحوه، و أما قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره: و إن التوجه شطره للحق الذي لا شك فيه من عند ربك، فحافظوا عليه، و أطيعوا الله في توجهكم قبله، وأما قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فإنه يقول: فإن الله تعالى ذكره ليس بساه عن أعمالكم و لا بغافل عنها، و لكنه محصيها لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة، وفي الآيات خطابان خاصٌ وعامٌ فالخاصُ خطابٌ للنبي ﷺ والعامُ للمسلمين وأن كان خاصها هو عامٌ في التشريع، إلا أنه لابد التفريق بين صيغ الخطاب في الآيات، و يعني بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ وأينما كنتم أيها المؤمنون من أرض الله فولوا وجوهكم في صلاتكم تجاهه و قبله وقصده. القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ عنى الله تعالى بالناس أهل الكتاب[٢٣] ، ونرى في الآيات تكرار للخطاب فهل في هذا التكرار فائدة أم لا؟ وللعلماء فيه أقوال. أحدها: أن الأحوال ثلاثة، أولها: أن يكون الإنسان في المسجد الحرام. وثانيها: أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد، وثالثها: أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى، والثانية على الثانية، و الثالثة على الثالثة، لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للبعد، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر اللّه تعالى هذه الآيات، وذهبت آراءٌ أخرى: أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنه علق بها كل مرة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد ﷺ و أمر هذه القبلة حق، لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة و الإنجيل، وأما في المرة الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق، وشهادة اللّه بكونه حقاً مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً، و أما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد[٢٤].

- **وجه الخصوصية في الآيات**

إن الله جل ذكره أمر النبي ﷺ و جميع الناس بأن يتوجهُ في جميع صلواتهم الواجبة والمندوبة تجاه الكعبة المشرفة وبيته الحرام، وأن كان في الصلاة المندوبة أن لم يمكن أحراز جهة الكعبة يصلى إلى أي جهة، أما في الواجبة فيجب أحراز جهة الكعبة وتفصيله في كتب الفقه، وأمر الله سبحانه في التوجه ألزامٌ وشرطٌ في قبول الأعمال والعبادات وفرضٌ على جميع الناس بأي حالا كانوا في الحرم أو خارجه بعيدين أو قريبين لا فرق، كما مر في بيان العلة من تكرار الخطاب والفوائد منه، وما هذا التأكيد والإلزام اللهي إلا لخصوصية لهذه الأرض المقدسة قد فرضها سبحانه على الناس اتجاهها.

الخاتمة:

إن ما جاء في الآيات القرآنية بيانٌ واضح وكلامٌ صريح، يثبت ما حظيت به منطقة الشرق الأوسط من خصوصية دينية التي كانت عنوان البحث الموسوم بـ ((الخصوصية الدينية للشرق الأوسط في النص القرآني)) وهنا تثبت نتائج ما توصل إليه البحث.

١. إن الآيات القرآنية في أكثر من مورد أكدت بأن أول بيت عبادة توحيدية كانت في منطقة الشرق الأوسط وتحديدا أرض مكة المكرمة.

٢. اشارات بعض الآيات إلى حفظ موضوع البيت الحرام من الاندثار والدمار رغم ما تعرض له من ظواهر طبيعية فيضانات، أو هجمات تخريبية بشرية.

٣. إن بناء البيت الحرام كان إرادة إلهية وليس إرادة بشرية، لذلك أوكل الله سبحانه أمر بناءه وتشيده إلى أعظم الأنبياء والرسل عليهم السلام .

٤. جاء في بعض الآيات كيف أن الله جل وعلا اختار أماكن محدد وبقعٌ معينة بأن تكون محلا يوحي بها إلى بعض أنبياءه عليهم السلام ، ويصفها سبحانه بأنها الوادي المقدس، ويأمر موسى عليه السلام الكليم بأن يحافظ على قدسيتها بأن لا يطئها بنعليه، وهذا الموضع المقدس هو طور سيناء.

٥. اشارات عدة آيات أن للأماكن المقدسة في منطقة الشرق الأوسط لها من الخصوصية ما لم يكن لغيرها، حيث أن التوجه بالصلاة لا يكون إلا لجهتها، وأين ما كان المصلي عليه أن يتوجه إليه.

٦. إن الله سبحانه قد فرض على الناس أن يتعاملوا مع هذه الأماكن وفق محددات، وهذه المحددات لا تكون لغيرها، ومن هذه المحددات لا يكون دخولها إلا بطهارة بمفهومها العام المادية والمعنوية.

هوامش البحث

(١) تفسير نور الثقلين، ج ١ ص ٣٦٥.
(٢) تاريخ الطبري، ج ١ ص ١٢٣.
(٣) ينظر تاريخ اليعقوبي، ج ١ ص ٦.
(٤) ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٢، ص: ٦٠٠- ٦٠١.
(٥) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ و﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.
(٦) ينظر تفسير جوامع الجامع، ج ٣ ص ٤٥، وينظر الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤ ص ٣٧١ .
(٧) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ج٤، ص: ٢٢٦.
(٨) ينظر التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج٨، ص:٢٩٦- ٢٩٧.
(٩) ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢ ص ٦٠٠- ٦٠١.
(١٠) ينظر إعراب القرآن الكريم (للشيخلي)، ج ٢ ص ١٢٩، إعراب القرآن الكريم (للنحاس)، ج ١ ص ١٧١.
(١١) ينظر جامع البيان في تفسير القرآن (للطبري)، ج٣٠ ص١٢٤-١٢٥، التبيان في تفسير القرآن، ج١٠ ص١٤٩.
(١٢) ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠ ص ٣٢٠-٣٢١.
(١٣) ينظر تفسير من وحي القرآن، ج ١٦ ص ٥٢.
(١٤) ينظر التبيان في تفسير القرآن، ج ٢ ص ٤٢-٤٤، وينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١ ص ٤٥١.
(١٥) ينظر الميزان في تفسير القرآن، ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٨٦.
(١٦) ينظر تاريخ اليعقوبي، ج ١ ص ٢٥، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١ ص ٤٥٢-٤٥٣.
(١٧) ينظر التفسير الكاشف ج ٥ ص ٢٠٧-٢٠٨، الميزان في تفسير القرآن ج ١٤ ص ١٣٧-١٣٨، الكشاف للزمخشري، ج ٣ ص ٥٣-٥٤.
(١٨) ينظر التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، ج٢٤ ص٥٩٣-٥٩٤، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢ ص٢٢٥-٢٢٦.
(١٩) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤ ص ١٣٨.
(٢٠) ينظر التفسير الكاشف، ج١، ص ٢٠١.
(٢١) ينظر تفسير من وحي القرآن، ج٣، ص ٢٤
(٢٢) ينظر جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ج ٤١ ص ٣٤٤، والرواية نقلا عن من لا يحضره الفقيه، ج٤ ص١١٥، تهذيب الأحكام، ج١٠ ص٢١٦، وسائل الشيعة، ج٢٨ ص٥٩.
(٢٣) ينظر جامع البيان في تفسير القرآن (للطبري)، ج ٢ ص ١٩.

(٢٤) ينظر التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج ٤ ص ١١٤.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١. التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) محمد بن عمر الفخر الرازي، إعداد وتحقيق نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ١٤٢٠ هـ. ق الطبعة الثالثة.
٢. جامع البيان في تفسير القرآن(تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار المعرفة، بيروت– لبنان ١٤١٢ هـ. ق الطبعة الأولى.
٣. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، الناشر: دار الكتاب الإسلامي قم المقدسة ١٤٢٤ هـ.ق الطبعة الأولى.
٤. من وحي القرآن، محمد حسين بن عبد الروف فضل الله، الناشر: دار الملاك، بيروت – لبنان ١٤١٩ هـ. ق الطبعة الأولى.
٥. إعراب القرآن(الكرباسي)، محمد جعفر الكرباسي، الناشر: دار و مكتبة الهلال، بيروت – لبنان ١٤٢٢ هـ. ق الطبعة الأولى.
٦. تاريخ الطبري، جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار التراث، بيروت – لبنان ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م الطبعة الثانية.
٧. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبو يعقوب بن جعفر بن وهب واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، الناشر: دار صادر، بيروت – لبنان بدون سنة وعدد الطبعة.
٨. من لا يحضره الفقيه، محمد بن على بابويه الصدوق، تحقيق وتصحيح على أكبر غفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم المقدسة ١٤١٣ هـ الطبعة الثانية.
٩. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق وتصحيح مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام / قم المقدسة ١٤٠٩ هـ الطبعة الأولى.
١٠. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية / طهران – إيران ١٤٠٧ هـ الطبعة الرابعة.
١١. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان ١٣٩٠ هـ. ق الطبعة: الثانية.
١٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدسة ١٤٢١ هـ. ق الطبعة الأولى.
١٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، المصحح: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ١٤٠٧ هـ. ق الطبعة الثالثة.